الفصل الثاني

القول (بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ)

في تحديد منهج القول ومدى مخاطر عدم التقيّد بالتي هي أحسن ، قال الله تعالى :

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء : ٥٣] .

وفي أسباب نزول هذه الآية ، قال العلامة الواحدي (ت : ٤٨٧هـ) رحمه الله تعالى :

نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك أن رجلاً من العرب شتمه ، فأمره الله تعالى بالعفو .

وقال الكلبي : كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بالقول والفعل ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1] .

---

(١) أسباب نزول القرآن : ٢٩٥ .

إنه تعليم فريد لمنهج المجادلة مع المخالفين ، وذلك عن طريق اللين وبالتي هي أحسن ، وفي تفسير وبيان معاني الآية ، قال الدكتور وهبة الزحيلي :

. . . يأمر الله تعالى رسوله بأن يبلِّغ عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبات الناس من المشركين وغيرهم ومحاوراتهم معهم الكلام الأحسن للإقناع ، والكلمة الطيِّبة ، وهو ألا يكون بيان الحجة مخلوطاً بالشتم والسب والأذى ، كما قال تعالى في آية أخرى :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وقوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

وعلَّة ذلك كما قال تعالى : ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ أي إنْ لم يقولوا الكلام الأحسن والكلمة الطيبة ، فإن الشيطان يفسد الأمور بين المؤمنين والمشركين ، ويثير الفتنة والشر ، ويوقع المخاصمة والمقاتلة ويغري بعضهم ، لأنه عدو لآدم وذريّته عداوة ظاهرة بيّنة ، ولهذا نهىٰ الشرع أن يُشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة ، فإن الشيطان ينزغ في يده ، فربَّما

أصابه بها ، روىٰ أحمدُ والشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يُشيرنَّ أحدُكُمْ إلى أخيهِ بالسلاحِ ، فإنه لا يدري أحدُكُمْ لعلَّ الشيطانَ أَنْ ينزغَ في يده ، فيقعَ في حفرةٍ من النار » .

وسبب نزغ الشيطان للإنسان ما قاله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ أي إن الشيطان عدوٌّ ظاهر العداوة للإنسان ، وقد أعلن عداوته منذ القدم ، كما حكىٰ القرآن : ﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾

[الأعراف : ١٧]

ثم فسَّر الله تعالى الطريق الأحسن الألين الذي لا مخاشنة فيه بقوله : ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ أي ربكم أيها الناس أعلم بمن يستحق منكم الهداية والتوفيق للإيمان ومن لا يستحق ، فإن شاء رحمكم فأنقذكم من الضلالة ووفقكم للطاعة والإنابة إليه ، وإن شاء عذبكم فلا يهديكم للإيمان ، فتموتوا على شرككم ، فهذه هي الكلمة ونحوها التي تقال لهم ، ولا يقال لهم : إنكم من أهل النار ، وإنكم معذبون ، وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر .

وقوله تعالى : ﴿أعلم﴾ بمعنى عليم ، نحو قولهم : ﴿الله

أكبر﴾ بمعنى كبير ، فلا مجال للمقارنة أو الموازنة بينه وبين غيره .

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴾ أي وما أرسلناك يا محمد عليهم حفيظاً ورقيباً ووكيلاً موكولاً إليك أمرهم ، تحاسبهم على أعمالهم ، وتقرّهم على الإسلام وتجبرهم عليه ، إنما أرسلناك نذيراً وبشيراً فقط ، فمن أطاعك دخل الجنة ، ومن عصاك دخل النار ، فتلطف في دعوتهم ، ولا تغلظ عليهم ، ودارِهم ، ومُرْ أصحابك بالمداراة والاحتمال .

﴿ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ أي وربك أعرف بكل من هو في السموات والأرض ، وأعلم بأحوالهم ومقاديرهم كلها علم إحاطة وانكشاف : ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] .

فهو ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أدرىٰ وأعرف بما يستأهل كل واحدٍ منهم[1] .

* * *

(١) التفسير المنير : ١٥/٩٩ـ١٠١ ، وللتوسع يراجع : فتح القدير للإمام الشوكاني : ٣/٢٧٨ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي : ٢/٢٥٨ .

وهكذا نرى التركيز على منهج القول بالتي هي أحسن في كثيرٍ من الصور ، حيث تؤكد الشريعة الإسلامية على طيب الكلام وطهره ، وبالتالي فهو خُلُق قرآني رفيع .

والكلمة الطيبة تعمل في البشر عمل السحر أو أكثر ، حيث تُدخل إلى النفس الطمأنينة والهدوء والراحة ، وتشرح الصدر ، وتدل على عقل الإنسان وطويته :

إنَّ الكـلامَ لَفِـي الفـؤادِ وإنَّمـا جُعِلَ اللسانُ على الفؤادِ دَليلا

ويعتبر القرآن الكلام الحسن هو الدعوة إلى الخير ، وهو الطريق الموصل إلى الفلاح ، قال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

والتلطف في الحوار ، والحديث الحسن ، والجدال بالحسنىٰ طريق موصل إلى الهداية ودخول الجنة ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [الحج : ٢٣ـ٢٤] .

ولأهمية طيب القول وحسن الكلام فقد جعله الله تعالى من

العهد الذي أخذه على الأمم السابقة ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة : ٨٣] .

والكلام الطيِّب الحسن هو الذي يتقبله الله ويُصعده إليه ، قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [فاطر : ١٠] .

وسبب تقبُّل الله تعالى للكلم الطيب الحسن ، أنه الوحيد الذي ينفع ويثمر ـ كالنخل ـ بشكل دائم ، وقد رسم القرآن الكريم صورة رائعة لذلك ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم : ٢٤ـ٢٧] .

ومن أدب الحديث وحسن الكلام وطيبه ، مخاطبة الرسول ﷺ بكل أدب ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات : ٢-٣] .

ويتعدّىٰ القول الحسن اللين إلى الحديث مع الوالدين ، وإلا فإن أساء الإنسان لأحدهما أو كليهما فقد حبط عمله ، مصداق ذلك قوله تعالى :

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ۝٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ [الإسراء : ٢٣-٢٤] .

بل حتى مع اليتامى ، فالسبيل الذي ترضاه الشريعة في مخاطبتهم وما إلى هنالك ، هو الكلام الحسن والقول الجميل ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾ [النساء : ٥] .

بل وحتى مع السائلين ، فإما أن تعطيه من مال الله ، أو

تردَّه بطيب القول ، مصداق ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾ [البقرة : ٢٦٣] .

وجاءت السنَّة الطاهرة لتؤكد على منهج الكلام الحسن والقول الطيب ، وذلك عبر أحاديث نبوية كثيرة ، منها قوله ﷺ : « الكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ » .

وقوله : « مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فَلْيَقُلْ خيراً أو لِيَصْمُتْ » .

ومنها قوله : « لايستقيمُ إيمانُ عبدٍ حتىٰ يستقيمَ قلبُهُ ، ولا يستقيمَ قلبُهُ حتىٰ يستقيمَ لسانُهُ » .

ومنها قوله : « اتقوا النارَ ولو بِشِقِّ تمرةٍ ، فإنْ لم يكنْ فبكلمةٍ طيبةٍ » .

من هنا نفهم السرَّ وراء تكرار مسائل اللين وخفض الجناح والقول الطيب والكلمة الحسنة وما إلى هنالك ، ثم ننتبه إلى شمولية هذا المنهج القرآني النبوي ، حيث لا ينحصر ذلك بين الرسول ﷺ وأتباعه ، ولا حتىٰ بين المؤمنين ، إنما يتعدىٰ ذلك إلى كل الناس ، بل إلى كل شيء!!

وهذا ما نلمحه في كتاب الله تعالى ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥] .

ووصف القرآن الكريم رسول الله ﷺ وصفاً رائعاً ، حدَّد من خلال ذلك أهم ميزاته التي يتحلَّىٰ بها ، وهي الرأفة والرحمة ، فقال تعالى : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

وهذا هو السبب الرئيسي في التفاف الناس من حوله ، قال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

ولم يختص ذلك بعلاقته مع المؤمنين ، إنما تعدىٰ ذلك إلى أن يضمَّ كل العوالم ، جنَّها وإنسها وحيواناتها وهوامَّها ، فكان بحقٍّ كما وصفه الله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وهكذا يجب أن يكون المسلمون جميعاً ، أن يكونوا الأمة المتكافلة المتعاونة علىٰ الخير ، الآمرة فيما بينها بالمعروف والناهية عن المنكر ، مصداق ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة : ٧١] .

وقدوة الجميع هم أنبياء الله تعالى ، فهم الفئة المتصفة بهذه الصفات الحميدة ، من قول حسن وكلام طيب وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، مصداق ذلك قوله تعالىٰ :

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وبالتالي فكل أنبياء الله ورسله حملوا لواء النصح والإرشاد والتوجيه للناس ، كما جاء على لسان شيخ الأنبياء نوح عليه السلام : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٦٢] .

وبعد دعوة صالح عليه السلام قومه ، وقف ليذكرهم بما حدث : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٩] .

وهكذا ، فمن لم يستطع النصح أو الإدلاء بكلام طيِّب وحسن ، فعلىٰ الأقل عليه أن يُعرض عن مجالس اللغو ، لأنَّ

ذلك من صفات المؤمنين الذين ذكرهم الله تعالى بقوله : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون : ١-٣] .

قال العلامة الزمخشري (ت : ٥٣٨هـ) رحمه الله تعالىٰ :

اللغو : ما لا يعنيك من قولٍ أو فعلٍ ، كاللعب والهزل وما توجب المروءة إلغاؤه واطِّراحه ، يعني : أن بهم من الجدِّ ما يشغلهم عن الهزل .

ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة ، أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو ، ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف[1] .

وحقيقة المسألة أن هذه صفة من صفات عباد الرحمن ، والذين ذكرهم القرآن الكريم بشيءٍ من التفصيل ، قال الله تعالى : ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۝٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ٤/٢١٨ .

وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان : ٦٣ـ٧٢] .

وفسَّر الإمام الطبري رحمه الله ذلك بقوله :

وأولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يُقال : إن الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم إذا مروا باللغو مروا كراماً ، واللغو في كلام العرب هو كل كلامٍ أو فعلٍ باطلٍ ، لا حقيقةَ له ولا أصلَ ، أو ما يستقبح .

فسبُّ الإنسانِ بالباطل الذي لا حقيقة له ، من اللغو ، وكذلك تعظيم المشركين آلهتهم من الباطل الذي لا حقيقة لما عظموه على نحو ما عظموه ، وسماع الغناء مما هو مستقبح في أهل الدين ، فكل ذلك يدخل في معنى اللغو ، فلا وجه ـ إذا كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو ـ أن يقال : عنىٰ به بعض ذلك

دون بعض ، إذ لم يرد لخصوص ذلك دلالةٌ من خبرٍ أو عقل[1] .

أجل :

إن عباد الرحمن يكرمون أنفسهم ، فلا يضيِّعون أوقاتهم في اللغو ، لأنهم يدركون ماذا يعني الوقت ، فهو أحسن حالاً وأفضل رأسمالٍ من الذهب والفضة ، فهو العمر كله ، فهل يضيِّع العقلاء عمرهم في اللغو من الكلام أو العمل ؟! هل يبدِّدُون رأسمالهم في الكلام الذي لا طائلَ منه ؟ هل يخسرون العمرَ في اللغو هنا وهناك ؟

أبداً ، فهم ـ عباد الرحمن ـ إذا مرُّوا باللغو مرُّوا كراماً ، أي مرُّوا مروراً سريعاً ، لا يجلسون مع اللاهين ، ولا يمكثون مع المضيِّعين أوقاتهم سُدىً ، إنما ينطلقون مسرعين نحو ما هو أهمُّ وأنفعُ ، لهم ولغيرهم ، في دنياهم وآخرتهم .

* * *

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٢/ ٢١٩ .

ضوابط القول

لكن للقول ضوابط لابدَّ من مراعاتها ، وأهمها[1] :

١ـ التأنِّي في الكلام لأن الإسراع فيه يحرم السامع استيعاب الكلام وفهمه ، وهذا التأني كان يفعله رسول الله ﷺ ، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري « أن النبي ﷺ كان إذا تكلمَ بكلمةٍ أعادها ثلاثاً حتى تُفهم عنه » .

٢ـ الابتعاد عن التكلّف والتعاظم والتفاصح ؛ لأن الداعي إذا فعل ذلك فإنه ينفِّر السامعين منه ، فلا يستمعون لقوله ، وقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال : « هلك المتنطّعون ، هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون » والتنطع في الكلام : التفاصح فيه والتعمق فيه ، كما جاء في حديث آخر قول الرسول ﷺ : « إن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامةِ الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » .

والثرثار : هو كثير الكلام تكلّفاً ، والمتشدّق : المتطاول

---

(١) للتوسع يراجع : الدعوة إلى الله على بصيرةٍ للدكتور عبد المنعم حسنين : ٩٣ـ٩٧ والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ عبر العصور ، للمؤلف : ١٧٧ـ١٩٤ .

على الناس بكلامه ، الذي يتكلم بملء فيه تفاصحاً وتعظيماً لكلامه ، والمتفيهق : هو الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه ، ويغرب به تكبراً وتعالياً وارتفاعاً وإظهاراً للفضيلة على غيره .

٣ـ الابتعاد عن روح التعالي على السامعين ، واحتقارهم وإظهار فضله عليهم ، لأن هذا يقطع ما بين قوله وبين قلوب السامعين ، فلا يطيقون سماع قوله وإن كان حقاً ، وينفرون منه ، فلا يأتون بشيءٍ مما يسمعون .

فيجب على الدعاة إلى الله على بصيرةٍ أن يكون كلامهم كلام الناصح الشفيق المتواضع الدال على الخير ، لأن الدعاة إنما يبلغون رسالة الله إلى المدعوين ، ولا يبلغون لهم علمهم وفضلهم ، فعليهم أن يتلطّفوا بالقول حتى يثيروا رغبة المدعوين إلى الاستماع إليهم .

وفي كتاب الله الحكيم أمثلةٌ كثيرةٌ على ضرورة التلطف في القول ، فقد قال تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم : ٤٢] .

فذكر إبراهيم عليه السلام في خطابه لأبيه رابطة الأبوة التي من شأنها أن تجعل الابن حريصاً على مصلحة أبيه ، وتجعل الابن جديراً بأن يصغي لخطاب أبيه .

كما قال تعالىٰ عن هودٍ عليه السلام :

﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف : ٦٥] .

فقد خاطب هود عليه السلام قومه بكلمة ياقوم حتى يشعرهم بأنه منهم في النسب ، وأنه يريد الخير لهم ، وهذا الخطاب أدعىٰ إلى استجابتهم وإلى إشعارهم بأن من يخاطبهم حريص على إرشادهم إلى صراط الله المستقيم .

وجاء في السنة النبوية كذلك ما يدلُّ على أن الرسول الكريم كان يتلطَّف في القول :

فقد ذكر ابن هشام في سيرته أن الرسول ﷺ أتىٰ إلى بطنٍ من بطونِ كلبٍ في منازلهم يقال لهم (بنو عبد الله) فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم نفسه ، حتى إنه كان يقول لهم : « يابني عبد الله ، إن الله عز وجل قد أحسن اسم أبيكم »[1] أي : فأحسنوا الاستجابة واقبلوا الدعوة وآمنوا بالله ورسوله .

٤ـ استثارة همم المدعوين ، إذا وجد الداعي إلى الله ضرورة إلى ذلك ، دون نفاق أو مداهنة ، فالداعي إلى الله

---

(١) السيرة النبوية : ٢/ ٣٣ .

على بصيرةٍ يجعل لكل مقام مقالاً ، وقد يحتاج أحياناً إلى تذكير المدعوين بطيب عنصرهم وشرف نسبهم ، الأمر الذي يجعلهم يسلكون سلوكاً حسناً لائقاً بهم ، فيكونون مع الأخيار المطيعين لله ، ويبتعدون عن العصاة المنغمسين في الشهوات والرذائل ، فيستطيع الداعي إلى الله بهذا الأسلوب أن يستثير هممهم ، ويشوِّقهم لطاعة الله .

على أن الداعي لا ينبغي أن يسرف في الثناء على المدعوين حتى لا يتحول كلامه إلى نوعٍ من النفاق والمداهنة ، بل يكون كلامه تشويقاً للمدعوين على قبول الحق ، وإعانة لهم على هذا القبول ، وبياناً لما في مجتمعهم من علل تحتاج إلى علاج ، وحثاً على الطاعة لما في الطاعة من خيرٍ لهم .

كما قال هودٌ عليه السلام لقوم عاد ، مما ذكره الله جل جلاله في قوله : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود : ٥٠-٥٢] .

وما ذكر الله عز وجل لذلك عن صالح عليه السلام وما قال

لقومه في قول الله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [الشعراء : ١٤١ـ١٥٢] .

فالداعي إلى الله على بصيرةٍ ينبغي له أن يختار لكل مقامٍ مقالاً يناسبه ، حتى يصل إلى قلوب المدعوّين ، فيصل بذلك إلى غايته التي يرجوها ، ألا وهي إقناع الناس بقبول الحق وهدايتهم إلى سواء السبيل[1] .

* * *

(١) للتوسع يراجع كتاب : عالمية الدعوة إلى الله تعالى ، للمؤلف : ٣٧ـ٤٠ . ط١ / دار المكتبي .

نماذج من قصص الأنبياء مع الكافرين

في القرآن الكريم خطوط عريضة لكل من أراد السير في الاتجاه الصحيح ، من ذلك قول الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف : ١١١] .

لذلك ففي قصة موسى عليه السلام مع فرعون نرى الوضوح في مسألة كيفية الدعوة إلى الله تعالى ، فالقضية أولاً وأخيراً يجب أن تكون بالقول اللين ! !

لكن كيف يكون اللين مع الطاغية فرعون ؟ !

وفرعون أفسد في الأرض ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص : ٤] .

وفرعون تكبَّر واستعلىٰ ، وتفاخر بنعم الله عليه ، قال تعالىٰ : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ﴾ [الزخرف : ٥١] .

وفرعون استعبد الرعية، وأمرهم بالسجود والطاعة العمياء، فسجدوا وهم يهتفون : يحيا ربُّنا الأعلى!! قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴾[المؤمنون : ٤٥ـ٤٨] .

وفرعون بطش بطشاً لا مثيل له ، قال الله تعالى : ﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾ [الشعراء : ٤٩ـ٥٥] .

وفرعون كذب بآيات الله وصدَّ عن السبيل ، قال الله تعالىٰ :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ [غافر : ٣٦ـ٣٧] .

وفرعون ظلم عباد الله ، فعذّب الناس عذاباً كبيراً ، وابتدع

مسألة قتل الأطفال الذكور واعتدىٰ على النساء ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٩] .

وفرعون أعلن كفره ، واستهزأ بنبوّة موسى عليه السلام ، وأنكر وجود الله تعالىٰ ، قال عز وجل : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٧٨] . ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٢٣] .

وفرعون تبجَّح ونادىٰ بكل وقاحة : أنا ربكم الأعلى ! ! قال تعالى في الحكاية : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص : ٣٨] .

وقال أيضاً : ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ [النازعات : ٢٤ـ ٢٥] .

مع كل هذه الصفات السيئة في فرعون ، أمر الله تعالى موسى وأخاه هارون عليهما السلام أن ينطلقا إلى فرعون بهدف تبليغه الدعوة .

لكن هل قال الله لهما : فجِّرا منشآته الاقتصادية ؟ هل قال لهما : ازرعا القنابل في قصره ؟ هل قال لهما : أَرْبِكَا واقعه الأمني ؟ هل قال لهما : اغتالا كل من له علاقة به ؟ هل قال

لهما : انهبا واسرقا من الأماكن العامة ؟!!

أبداً ، فهذا لا تعرفه شرائع السماء ، إنما هي أحلام صبيةٍ قليلي الثقافة ، وقليلي الإدراك ، استهوتهم المناصب والأموال ، فاخترعوا ذلك وألصقوه بالدين ، والدين منهم براء براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام!! .

لقد كان توجيهاً ربانياً من نوعٍ آخر ، ليكون فيه الدروس والعبر لكل من يتصدَّرُ للدعوة إلىٰ الله تعالىٰ ، وفي كل زمان ومكان .

قال الله تعالىٰ في ذلك التوجيه الرائع : ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَـٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [طه : ٤٢ـ٤٧] .

وعندما يتأمل الباحث في هذه الآيات يرى أمراً عجباً .

إنه توجيه الله تعالى لموسى وهارون بالتلطّف مع فرعون ، حتى الكلمة يجب أن تُنتقىٰ من ألين الكلمات وأرقّها عذوبةً ﴿فقولا له قولاً ليّناً﴾ والتعليل: عسىٰ أن يهتدي ويخشى ويتذكر!!

ثم يختتم المشهد الرائع بقوله تعالى : ﴿والسلام على مَنِ اتبعَ الهدى﴾ ليبقىٰ اللقاء بينهم وبينه ممكناً ، فلا خصومات ولا منازعات ، ولا شتم ولا سبّ ، إنما السلام على من اتبع الهدى!!

وهكذا فموسى عليه السلام هو المكلَّف بهذا القول أكثر ، وهو المسؤول عن تبليغه ، بينما يعاونه هارون لأنه الوزير ، كما أخبر الله تعالى بقوله : ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات : ١٥ـ٢٦] .

وإذا كان هذا خطاب موسى عليه السلام لفرعون ، فكيف يجب أن يكون الخطاب للمؤمنين أو الشاردين ؟! ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء : ٥٣] .

* * *